مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

البلاغة و الأسلوبية علاقة اختلاف أم ائتلاف

Rhetoric and stylistics: difference or a coalition

د. وهيبة بن حدو*، جامعة تلمسان، الجزائر.benhaddouwahiba@gmail.com

تاريخ المقال
الإرسال:22-04-2021 القبول:19-10-2021 النشر:15-05-2022

ملخص البحث

لقد حظي الدرس البلاغي العربيّ بالكثير من الاهتمام من علماءنا القدامى، ذلك لأن البلاغة العربيّة بحثت في فنون القول ومواطن الجمال في التراث (شعرا و نثرا)،و كشفت عن أسرار بنية الخطاب وأثره في المتلقي.

و الأسلوبية علم مستحدث ارتبطت نشأته الحقيقية بالدراسات اللّسانية اللّغوية التي ظهرت بوادرها في مستهل القرن التاسع عشر، و قد تناولت بمدارسها وفروعها واتجاهاتها النّص الأدبي تحلّله بعمق من أجل تحديد خصائصه وسماته الجمالية، و كشفت عن المعنى ومعنى المعنى وعلاقته بالمبدع. لذا فالمحور الذي يجمع البلاغة و الأسلوبية هو دراسة جمالية الأدب، و هذا ما جعل بعض الدارسين يعتبرون الأسلوبية الوريث الشرعي للبلاغة العربية القديمة. و رأى البعض الآخر أنها بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف.

من خلال هذا المقال سنبين أوجه التشابه والاختلاف بين البلاغة والأسلوبية وأيّهما أوسع نطاقاً من الآخر.

الكلمات المفتاحية
البلاغة العربية-
الأسلوبية-
العلاقة-
التشابه-
الاختلاف.

Abstract

The Arabic rhetorical lesson received a lot of attention from our ancient scholars, because Arabic rhetoric examined the arts of speech and the places of

Keywords

Arabic rhetoric
stylistics
relationship

* المؤلف المرسل

beauty in the heritage (poetry and prose), and revealed the secrets of the discourse structure and its effect on the recipient.

The stylistics is an emerging science whose the origin was linked to the linguistic studies that emerged at the beginning of the nineteenth century. Its schools, branches and trends dealt with the literary text, analyzing it in depth in order to determine its aesthetic characteristics and characteristics, revealing the meaning and the meaning of meaning and its relationship to the author. Therefore, the axis that combines rhetoric and stylistics is the study of the aesthetics of literature, and this is what made some scholars consider stylistics to be the legitimate heir of the ancient Arabic rhetoric. Others considered it as modern rhetoric of doubly form.

Through this study, we will try to show the similarities and differences between rhetoric and stylistics, and which one is broader than the other.

similarity
difference.

1. مقدمة:

لقد بدأ مع مطلع القرن العشرين اهتمام كبير بعلم اللغة و اللسانيات ، حيث انتقلت الدراسات اللغوية نقلة نوعية على هذا الصعيد، ثم سرعان ما امتد هذا الاهتمام ليشمل حقل الأدب والإبداع الأدبي بوصفه نصوصا ذات بنية لغوية في الأصل.

لقد كان من نتائج هذا الاهتمام نشوء علم جديد يبحث في لغة النصوص الأدبية عرف بـ"الأسلوبية" و أصبح منهجا و مدخلا للنصوص الأدبية لتحديد خصائصها وسماتها الجمالية.

إلاّ أنّ هذا العلم الحديث له جذور في تراثنا النقدي والبلاغي فقد كانت معظم قضاياه وتصوراته ترجع إلى الأسلوب، كما قدم النقد العربي القديم تفكيرا أسلوبيا ناضجا لم تغب عنه أبرز القضايا التي يثيرها البحث الأسلوبي.

و في العصر الحالي بدأ الاهتمام بالأسلوبية من منطلق جديد بحيث اختلف الباحثون في تحديد طبيعة العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية، فيرى بعضهم أنها الوريث الشرعي الوحيد للبلاغة في حين يرى آخرون أنه من الممكن العثور على صيغة ملائمة للون من التعايش بين البلاغة والأسلوبية بحيث لا تصبح العلاقة حينئذ مبنية على التوارث بل على بعث بلاغة جديدة مواكبة للأسلوب تكون معه ضلعي مثلث يكتمل بالنحو.

فالبلاغة العربيّة علم قديم وهي تمثل تراثنا العلمي ونحن بحاجة ماسّة إلى الاستفادة من هذا التراث القيّم، أمّا الأسلوبيّة فهي علم حديث ونحن ملزمون بمواكبة التّطور العلمي.

و من خلال هذا البحث نستظهر تلك العلاقة العميقة بين الأسلوبيّة الحديثة والبلاغة العربيّة القديمة من خلال توضيح نقاط التّشابه ونقاط الاختلاف بينهما، وبذلك كان لزامًا عليّ البحث في ماهية البلاغة، و تحديد مفهوم الأسلوبية، ثم تتبع أهم النّقاط التي تتشابه فيها البلاغة مع الأسلوبيّة، وأهمّ النقاط التي تختلفان فيها، وهل حقًّا أنّ الأسلوبية هي الوريث الشّرعيّ والمباشر للبلاغة القديمة؟، أم هي بديل لها ونفي لها في الوقت نفسه؟

2. مفهوم البلاغة:

تعد الدراسات القرآنية وبحوث العلماء في أساليب القرآن الكريم من أهم الجهود العلمية التي خدمت البلاغة العربية، حيث اتجه علماء التفسير واللّغة إلى البلاغة باحثين في فنونها وموضحين أقسامها لتكون لهم عونا على فهم القرآن ليبرهنوا بها على إعجازه

و يستنبطون أحكامه، لذلك عدها أبو هلال العسكري من أجل العلوم بالتعلم بعد معرفة كتاب الله عز و جل. (العسكري، 1971، صفحة 13)

لقد كان البلاغيون العرب أكثر اهتماما بمصطلح البلاغة، حيث وضعوا لها كثيرا من التحديدات والتعريفات، من بينهم الجاحظ (ت255ه) الذي ذكر في كتابه البيان و التبيين تعريفات عديدة بين فيها تصور العرب وغيرهم من الأمم لمعناها، لكننا ولاحظنا أنه يتبنى تعريفا واحدا، ويعلن رضاه عنه، ويراه أكثر التعريفات تعبيرا عن ماهية البلاغة وحقيقتها يقول: "وقال بعضهم: وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه، لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" (الجاحظ، 1998، صفحة 115).

وقدم لها المبرد (ت286ه) تعريفا مسّ خصائصها المتعلقة بالنص الفني، فقال: "حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام وحسن النظم حتى تكون

الكلمة مقاربة أختها، ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول" (المبرد، 1405هـ، صفحة 81).

أما صاحب التلخيص فعرفها قائلا: "البلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحته، وهو مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ... فمقام كل من التنكير والإطلاق، والتقديم، والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، فالبلاغة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب." (جلال الدين محمد القزويني، صفحة 43).و قسم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام: علم المعاني، و علم البيان، و علم البديع.

و بمرور الزمن انشغل البلاغيون بالحدود والمصطلحات أكثر من انشغالهم بالتحليل والاستنطاق ، والشواهد التي اعتمدوا عليها في خدمة هذه المصطلحات صارت بمثابة قوالب مكررة و نماذج ثابتة يتم اختيارها بشكل عشوائي يتوالد و يتردد من مؤلف لآخر دون محاولة لإقامة التوازن بين الابداع والتعبير.
ومن ثم فقد وقع هذا الانفصام بين القاعدة و التطبيق ، لا سيما عند تناول القصيدة الحديثة ، التي لما تنوولِت بمعايير البلاغة القديمة وحدها صار ذلك غير كاف لمعرفة أسرارها وتحليل مكوناتها و فهم إطارها. (عطية، صفحة 121).

و لعل هذه المعيارية وهذا الجمود في التحليل هو ما فسح المجال واسعا أمام الدراسات الأسلوبية التي اعتبرها بعض الباحثين وريثة شرعية للبلاغة القديمة.

3. مفهوم الأسلوب و الأسلوبية:

3. 1. مفهوم الأسلوب:

نعترف بوجود صعوبة في تحديد مفهوم الأسلوب، ذلك أنّ مفاهيمه اختلفت من حقبة إلى أخرى، و الأمر نفسه بالنسبة لتجليات المحلّل الأسلوبي بشأن الأسلوب. فتاريخ الأسلوبية يحوي كثيراً من العناصر و الموروثات المرتبطة بالأسلوب عرفها العرب بصورة غير مقننة واتّخذت أشكالا وصورًا محدودة ولكنها لم تكن قائمة على أساس علمي.

من الصعب تحديد كلمة (أسلوب) بتعريف واحد و دقيق "فهي تستعمل في ميادين عديدة مثل اللسانيات ، و الأدب و الموسيقى و المسرح ، و السياسة...الخ (فرانسوا راسنيي، 2010، صفحة 205)و يعترف (غريماس)بأنه من الصعب ،إن لم يكن مستحيلا تعريف الأسلوب سيميائيا. (يوسف وغليسي، 1430هـ/2009م، صفحة 83)

ولقد تعددت الآراء والاتجاهات حول تحديد ماهية الأسلوب إلى الحد الذي أصبح يقال فيه أن ليس هناك تعريف واحد للأسلوب يتمتع بالقدرة الكاملة على الإقناع و لا نظرية يجمع عليها الدارسون في تناوله، فمصطلح الأسلوب مصطلح غامض ، ويمكن النظر إلى الأسلوب من ثلاثة اتجاهات وهي: اتجاه المؤلف (الباث)،واتجاه القارئ (المتلقي)، واتجاه النص (الكلام المدونة). (عبابنة، 2007، الصفحات 12-13).

وبالرّغم من تعدد وجهات النظر حول مفهوم الأسلوب يمكننا القول أن الأسلوب هو طريقة التعبير، و حسن اختيار الألفاظ.

3. 2. مفهوم الأسلوبية:

وإذا انتقلنا من مفهوم الأسلوب إلى مفهوم الأسلوبية فإننا سنجد أن مصطلح الأسلوبle style أسبق في الوجود من الناحية التاريخية، وأوسع في الدلالة من الناحية المعنوية ،فمن حيث الترتيب التاريخي للمصطلحين نـجد أنّ مصطلح الأسلوب بدأ استعماله منذ القرن الخامس عشر، على حين لم يظهر

مصطلح الأسلوبية stylistique الا في بداية القرن العشرين. (درويش، صفحة 16).

وتعرف الأسلوبية "بأنها الدراسة العلمية لأسلوب الأعمال الأدبية، كما عرف (شارل بالي) الأسلوبية هي:" دراسة الأفعال التعبيرية للّغة من خلال محتواها العاطفي أي تعبر أفعال الحساسية عن العاطفية انطلاقا من سلوك اللغة وأفعالها. (دادوة، 2008، صفحة 23).

ومن المسلم به لدى الباحثين إنّ الأسلوبية ذات منهج لساني ، إذ أنها نتيجة تزاوج اللسانيات والنقد الأدبي، أو هي محاولة لتوظيف اللسانيات منهجا ونتائج في دراسة النصوص ابتغاء الكشف عن ظاهرة الأسلوب بتعقيداتها. (بو دوخة، 2011، صفحة 8).

ويمكن القول أن الأسلوب تعنى بشكل من الأشكال التحليل اللغوي لبنية النص، ومن ثم يمكن تعريف الأسلوبية بأنها فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللّغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات الأدبية وغير الأدبية (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، 1427هـ/2007م، صفحة 35).

غير أن الميلاد الحقيقي للأسلوبية في نظر أغلب الباحثين الغربيين يعود لبدايات القرن العشرين مع تلميذ (دي سوسير) و مواطنة الألسني السويسري(شارل بالي) (charle bally) (1865-1947) الذي أسس هذا العلم في كتابة الرائد "مبحث في الأسلوبية الفرنسية"sfraité de stylistique française) سنة 1909 تحديدا (وغليسي، 1430هـ/2009م، صفحة 76).

الأسلوبية علم لغوي حديث ينظر إلى اللغة بوصفها كائنا حيا متغيرا، فهو إذ يسجل الظواهر و يعترف بما يصيبها من تعبير، ويحرص فقط على بيان دلالاتها في نظر قائليها ومستمعيها أو قارئيها، فطبيعي ألا يتحدث عن صحة وخطأ. (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، 1427هـ/2007م، صفحة 74)

4. العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية:

لا شكّ أنّ الأسلوبية تعني وتهتمّ بالأسلوب، فهي تحليل لغوي موضوعه الأسلوب، وهي كما يرى الدكتور نور الدين السد: "دراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب عن سياقه الإخباري ووظيفته التأثيرية والجمالية (السد، 1977، صفحة 93). ومن خلال هذا القول نجد أطياف البلاغة ممّا يؤكّد أنّ الأسلوبية هي امتداد للبلاغة، ومتطورة عنها،" فهما تقيمان منذ زمن علاقات وطيدة، تتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحيانا عن هذا النموذج وتتسع حتى لا تكاد تمثل البلاغة كلّها باعتبارها بلاغة مختزلة (بليث، البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، 1989، صفحة 13) . ولقد عرف التراث العربي الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي، ولو تأمل المتأمل لتأكد أنّ الدرس البلاغي العربي إنما كان درسا أسلوبيا على وجه الإجمال.

لذلك كثر الحديث بين الباحثين في العلاقة القائمة بين البلاغة و الأسلوبية، ومنهم سعد عبد العزيز مصلوح الذي يرى "أن إقامة تصور للعلاقة بين البلاغة العربية و الأسلوبيات أمر لا يسلم نفسه في يسر و إسماح لباحث. (مصلوح، في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، 2003، صفحة 22) لأنه بالإضافة إلى ذلك فإن "الأسلوبيات لا تزال باتجاهاتها و تصوراتها ذات صلة وثيقة باللسانيات الحديثة غريبة وافدة علينا، ومازال أهلها و المقتنعون بجدواها يبحثون لها عن دور تقوم به في إعادة صياغة النظرة العربية المعاصرة إلى دراسة النص الأدبي. (مصلوح، في البلاغة و الأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، صفحة 22).

أما الباحث شكري عياد فقد قال: " ولكني إذ أقدم لك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة ، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا لأن أصوله ترجع إلى علم البلاغة." (عياد، مدخل الى علم الأسلوب، 1992، صفحة 7) ففي نظره أن البلاغة هي من وضعت المبادئ الأساسية لعلم الأسلوب الحديث، وأن الأسلوبية ليست غريبة على الثقافة العربية.

و الباحث عبد السلام المسدي راح يتمعن في البلاغة العربية محاولا الوقوف على نقاط الشبه التي تربط الأسلوبية الحديثة بالبلاغة القديمة، مدللا على ذلك من خلال علوم البلاغة الثلاثة وهي علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع، فترابط هذه العلوم الثلاثة و اعتمادها على بعضها في توضيح الدلالة يشكل أساسا متينا للمنهجية الأسلوبية الحديثة ، ويظهر معنى ما ذهب إليه من خلال ربطه بين علمي المعاني و البيان فوجد أن " الأول يتعلق بالإفادة أي المعنى كما يدل اسم ذلك العلم ، في حين أن الثاني يتعلق بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ، ويذكرنا هذا بفرضية منهجية تنطلق منها النظريات الأسلوبية ، وقوامها أن المدلول يمكن بثه بوساطة دوال مختلفة." (المسدي، 1976، الصفحات 23-156).

و مما نستخلصه من قول المسدي أن أبرز علوم البلاغة اتصالا و قربا بالأسلوبية الحديثة هو علم المعاني الذي يركز على اللغة الفنية المشكلة للنص الأدبي، "فالمتبع للمنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي يلاحظ أن هذا المنهج لا يعد نقلة نوعية في مجال الدراسات النقدية الحديثة فقد ركزت البلاغة القديمة على موضوع النظم وعلاقة ذلك بالمعنى وهذا يتصل بشكل أو بآخر بعلم المعاني. (خليل، 2003، صفحة 169).

وانطلاقا من الآراء المعروضة للباحثين بشأن العلاقة التي تربط بين البلاغة والأسلوبية فإننا سنحاول الغوص في أصول هذه العلاقة كي نكشف عن بعض نقاط التشابه والاختلاف بينهما .

1.4. أوجه التشابه بين البلاغة والأسلوبية

من الملاحظ أنّ هناك علاقة حميمة بين البلاغة والأسلوبية "فالدارسون في البلاغة والأسلوبية اليوم يعترفون بوجود منطقة مشتركة بين البلاغة والأسلوبية يعملون على دراستها والإفادة منها. (عدنان، 2000، صفحة 48) ويمكن إجمال أوجه التشابه بين البلاغة والأسلوبية فيما يلي:

-إنّ أول نقطة التقاء بين البلاغة و الأسلوبية أنّ محور البحث في كليهما هو الأدب (النص الأدبي)، فموضوع البلاغة يتفق مع موضوع الأسلوبية في الدراسة، فهما يبحثان الجوانب التعبيرية و الفنية المختلفة في الخطاب الأدبي، و كذلك لا يغفلان الجوانب النفسية. ويمكن القول أن الأشكال البلاغية المختلفة هي الجذور التي نمت عليها المناهج الأسلوبية فلا يمكن الفصل بين البلاغة و الاسلوبية بأي شكل من الأشكال ، فعندما يتم النظر إلى المباحث البلاغية المختلفة كالاستعارة أو الكناية أو التشبيه...على أنها نظام كامل من الوسائل اللغوية الفاعلة في إنتاج النص، يكون لها دور وأهمية خاصة عند المبدع و المتلقي على حد سواء (عدنان، النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، 2000، صفحة 87).

و الملاحظ هنا أن المبدع الذي ينتج النص يضع هذه الأشكال البلاغية لتؤدي دورا خاصا في هذا النص، بإيحاءاتها وتأثيراتها الجمالية المختلفة، ومن ثم يقوم المستقبل بتحليل هذا النص ليبين اختيارات المبدع، والانزياحات المختلفة لهذه الاختيارات، ليستكشف جمالياتها، وعند هذه النقطة تلتقي البلاغة و الأسلوبية، فهما تقدمان صورا مختلفة من المفردات و التراكيب والأساليب و قيمة كل منها الجمالية و التأثيرية.

-إذا كانت البلاغة فنّا للتعبير الأدبي و قاعدة في الوقت نفسه، فإنها أيضا أداة نقدية تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي، كما تستخدم في تقويم فنّ كبار الكتاب، فالأسلوبية هي أيضا علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية، كما أنّ البلاغة هي أسلوبية القدماء و هي علم الأسلوب كما كان للعلم أن يدرك حينئذ (جيرو، ترجمة منذ عياشي، 1994، الصفحات 1-27).

-و نقطة أخرى تلتقي عندها كل من البلاغة و الأسلوبية، وهي قضية الموقف، "فكما أن علم البلاغة يقرر أن الكلام يطابق -أو ينبغي أن يطابق- مقتضى الحال، فكذلك يقرر علم الأسلوب أن نمط "القول" يتأثر بالموقف." (عياد، مدخل الى علم الأسلوب، صفحة 46)، ثم إن الأسلوبية " تركز بشكل كثيف و مباشر على عملية الإبلاغ و الإفهام، بالإضافة إلى انتقالها الأساسي و الجوهري إلى التأثير في المتلقي، وذلك من خلال ميل الكاتب و نزوعه الأكيد إلى أن يجعل كلامه مبنيا ومؤلفا بطريقة يلفت فيها انتباه المتلقي لما يريده." (ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، 2000، صفحة 9)،

وقد عالج كثير من علماء البلاغة قديما قضية الموقف أو مقتضى الحال و تأثيره في المتلقي فنجد مثلا السكاكي يجعل الأساليب "تتفاوت بحسب قدرة منشئها على نقل اللفظة من مجال الوضع إلى مجال آخر يعتمد على العقل الذي يمكنه إدراك تنوع المناسبة بحسب تنوع الموقف. (عبد المطلب، محمد، 1994، الصفحات 265-266)، ولعل أبرز علم من علوم البلاغة الثلاث الذي يوضح خاصية الموقف أو مقتضى الحال هو علم المعاني .

-و هكذا يظهر التقاطع بين البلاغة و الأسلوبية من خلال علم المعاني، فعلم المعاني يهتم بدراسة الأسلوب و المعنى ، فقد اهتم البلاغيون العرب ببعض اللمحات الأسلوبية كالصياغة و جزئياتها بحيث يكون لكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وبهذا يرتبط المعنى بالجزئيات التركيب و مواطن استعمالها، كما يرتبط بما بين هذه الجزئيات من علاقات خلقها هذا المقام، و على هذا الأساس يرتفع الكلام في باب الحسن و القبول أو ينحط في ذلك، لوروده على الاعتبارات غير المناسبة. (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، الصفحات 84-85).

-وقد التفتت البلاغة القديمة كما هو الحال في الأسلوبية إلى المستوى الإخباري و المستوى الجمالي في الأدب، حيث يتصل المستوى الأول بالنحو و اللغة،

و يتصل المستوى الثاني بعلم المعاني، فقد ألمح عبد القاهر الجرجاني إلى وجود المستوى الاخباري الذي يستعين بأدوات اللغة لاستخراج الجانب الفكري من المتكلم، و إلى جانبه المستوى الجمالي المتمثل في الفكر اللطيفة. (عبدالمطلب، الصفحات 262-263).

-كما تلتقي كل من البلاغة القديمة و الأسلوبية الحديثة في كونهما علمين لغويين، ومبادئ علم الأسلوب العربي قائمة على جذور لغوية و بلاغية، وهنا يمكن أن يكشف عن وجوه التلاقي بين تصور اللغويين الغربيين للغة، وما نتج عنه من فجوة أتاحت للدرس الأسلوبي الغربي والدرس البلاغي العربي الظهور على الساحة الأدبية. وهنا يمكن الربط بين نظرة (دي سوسير) للغة وتعريف عبد القاهر الجرجاني للبلاغة إذ ينظر (دي سوسير) للغة على أساس أنها مكونة من رموز اصطلاحية، أصوات، ثم كلمات، ليس لها دلالة ذاتية، و إنما تتحدد دلالة كل عنصر من عناصرها من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، وهناك نوعان من العلاقات: علاقات رأسية تعتمد على تداعي المعاني بين الكلمة وقريباتها أو نظيراتها في الاشتقاق، وبينها و بين مضاداتها و مرادفاتها، كالعلاقة بين عالم وعلم

ومعلم، و علاقات أفقية تكون بين أجزاء الجملة. و يبدو أنّ فكرة العلقات الأفقية تذكرنا بتعريف(عبد القاهر الجرجاني) للبلاغة، و هي أنها تآخي معاني النحو بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام و تعريف(السكاكي) القائل: بأنها معرفة خواص التركيب. (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، صفحة 81).

انطلاقا من قولنا إن كلاّ من البلاغة و الأسلوبية درس لغوي، فهذا يعني أن كلا منهما يهتم بخاصية تخص الجنس البشري، وهي الكلام، وهذه نقطة اتفاق أخرى بينهما فالأسلوبية تسعى " لدراسة الكلام على أنه نشاط ذاتي في استعمال اللغة." (ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، صفحة 9)، كما تعتبر البلاغة منهجا " يمس خاصية مميزة للإنسان وهي الكلام" (بليث، البلاغة و الأسلوبية نحو نموذج سينمائي لتحليل النص، صفحة 23).

-و نقطة أخرى تلتقي عندها كل من البلاغة و الأسلوبية و هي الصورة، " فدراسة الصورة تمثل منطقة اتصال و تماس بين الأسلوبية و البلاغة، تختص الأسلوبية منها بالجانب الحسي المباشر في التركيب اللغوي للنصوص، وتقوم البلاغة بتحليل تداخلاتها وتصنيف أشكالها و محاولة تحديد وظائفها وشرح الفلسفة الكامنة وراءها في الرؤية العامة ... و تعتبر دراسة المصادر والأبنية و الوظائف و معدلات التكرار ... ومدى تداخلها وكثافتها في النص هي المجال الأمثل للإفادة من معطيات البحث البلاغي، المرتكز على أدوات محددّة بعد مراجعتها وشرح تحولاتها وإدماجها مرة أخرى في المنظومة المنهجية للتحليل الاسلوبي وعلى هذا فإن المنطقة المشتركة بين البلاغة و الأسلوبية تتجلى على وجه الخصوص عند قطبي العملية التحليلية للنصوص المحددة" (فضل، 1996، الصفحات 243-244).

-إن نظرية النظم عند " عبد القاهر الجرجاني" تستند على علمي النحو و المعاني، فاستبدال اسم بفعل أو فعل باسم أو حرف بغيره في السياق يؤدي إلى تغيير في المعنى والتقديم و التأخير و التعريف و التنكير و غير ذلك مما يبحثه علم المعاني أمور ينبغي على المنشئ مراعاتها في إنشائه ... و قد حاول الجرجاني من خلال مفهوم نظرية النظم دراسة طبيعة الأدب دراسة خالية تتكئ بالدرجة الأساس على التركيب اللغوي الذي يتصل باللفظ المنطوق و الكلام النفسي. و ما قاله الجرجاني في نظرية النظم يطابق ما قاله علماء الأسلوبية حين نظروا إلى النص باعتباره كيانا واحدا، بحيث إن كل جزء يوصل إلى آخر، و لا سبيل إلى دراسة العمل الأدبي إلا على أساس من التمازج الكامل بين عناصره ولا فصل بين الدوال (الشكل)، والمدلولات (المضمون)، يضاف إلى ذلك التنبيه إلى أهمية المخاطب في عملية الإبلاغ. (سليمان، الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، 1428هـ/2008م، الصفحات 29-30).

-و ثمة نقاط التقاء بين الأسلوبية و البلاغة تتمثل في أنه إذا كان المنظرون لتحديد مفهوم الأسلوب يرون أن المخاطب يوائم بين طريقة الصياغة وأقدار سامعيه، فليس هذا إلا ترديدا لما قال به البلاغيون العرب في تعريف بلاغة الكلام بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال. فكلاهما يفترض حضور الملتقي في العملية الإبلاغية.

2.4 أوجه الاختلاف بين البلاغة والأسلوبية

يرى بعض الباحثين أن التراث البلاغي لم يعد قادرا على الوفاء بما يقتضيه النص الأدبي، وقد عرض الدكتور محمد عبد المطلب بعض الجوانب التي تبين قصور البلاغة القديمة ومنها (عبدالمطلب، البلاغة و الأسلوبية، الصفحات 258-260):

- إن البلاغة معيارية خالصة اعتبر فيها البلاغيون من أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي من خلال توصيات فندوها وجعلوها سيفا مسلطا على رقاب الأدباء.
- إن الدراسات البلاغية أغفلت جوانب مهمة في الأداء الفني مثل الجوانب النفسية و الاجتماعية.
- إن الدراسات البلاغية وقفت عند جزئيات النص، ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل.

كما ذكر الدكتور سعد مصلوح في كتابه " البلاغة العربية والأسلوبية اللسانية " عددا من أوجه الاختلاف بين البلاغة والأسلوبية ومنها: (مصلوح، في البلاغة العربية و الأسلوبيات آفاق جديدة، الصفحات 67-71):

- إن البلاغة القديمة هي الشواهد المتفرقة والأمثلة المتجزأة، فهي بلاغة الشاهد والمثال والجملة المفردة في معظمها؛ أما الدرس اللساني فلا يأخذ مادته من الشاهد والمثال، وإنما يعالج نصا أو خطابا أو مجموعة من النصوص يجمعها جامع واحد من مؤلف أو موضوع أو فن أو عصر.
- يغلب على تقسيم علوم البلاغة وترتيب مباحثها وطرق الفحص فيها الطابع التفتيتي؛ في حين تغلب على الأسلوبية تصورات البنية والنسق والعلاقات.

وقد وقف الدّكتور شكري عياد على جملة من الفروقات بين البلاغة والأسلوبية تدعم هذا الجانب أهمها: (عياد، مدخل الى علم الأسلوب، الصفحات 44-45):

- أنّ البلاغة علم لساني قديم، والأسلوبية علم لساني حديث، ومن هنا يصبح الاختلاف في المنهج ذلك أنّ العلوم القديمة تنظر للغة بوصفها منطوية على ثبات حقيقي، في حين تنظر إليها العلوم اللسانية الحديثة بوصفها متغيرة ومتطوّرة.
- و هي علم معياري بينما تعد الأسلوبية علمًا وصفيًا، ذلك أنّ البلاغة تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختيار بين إمكانيات عدّة تتمثّل في التراكيب النحوية الخاضعة لقوانين معينة، ولهذا تنصبّ معيارية البلاغة على العدول عن التراكيب النحوية المناسبة.
- إنّ أفق الدراسة الأسلوبية أوسع من أفق الدّراسة البلاغية، فالأسلوبية تدرس الظواهر اللغوية جميعها بدءًا من الصوت وحتى المعنى مرورًا بالتراكيب.
- و أهم نقطة تختلف فيها البلاغة عن الأسلوبية هي نظرة كليهما للأدب محور دراستهما؛ "فالأسلوبية تتعامل مع النّص بعد أن يولد، فوجودها تالٍ لوجود الأثر الأدبي، وهي لا تنطلق في بحثها من قوانين مسبقة، أمّا البلاغة فتستند في حكمها على النص إلى مقاييس ومعايير معيّنة، وهي موجودة قبل وجود العمل الأدبي" (سليمان، الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، صفحة 31)، وتقوم بعد خروج النّص إلى الواقع بتقييمه، لتحكم بمدى مطابقته لمقتضى الحال، ولما قنّنته له، وإلى أيّ حدّ يراعي صاحبه القواعد البلاغية.

وهذا يعني أنّ علم البلاغة ذو هدفين (سليمان، الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، صفحة 31): هدف تقويمي قبل خلق العمل الأدبي، وآخر تقييمي بعد خلقه، كما يعني أنّ البحث الأسلوبي لا يتمّ إلاّ من خلال عمل أدبي مبحوث.

- إن علماء البلاغة العرب نظروا إلى اللغة على أنّها شيء ثابت، رغم أنّ هناك تغيرات قد تطرأ عليها من خلال اختلاف طرق التعبير بسبب اختلاف

مقتضى الحال، ولكنهم لا يعدون هذه الاختلافات خروجا عن الإمكانات الثابتة للغة، وبناء على ذلك، فالقوانين التي يصل إليها علم البلاغة قوانين مطلقة لا يلحقها تغيير من عصر إلى عصر، أو بيئة و بيئة، أو شخص وشخص فمن الضروري أن تراعي دائما كما تراعى قوانين النحو، فالبلاغة تستند في حكمها على النص إلى معايير ومقاييس معينة. (أبو العدوس، صفحة 73).

يشكل المخاطِب و المخاطَب خلافا بين البلاغة و الأسلوبية، ففي الوقت الذي عنت فيه الأسلوبية بالمخاطِب(المبدع)، و بحالته النفسية و الاجتماعية عناية كبيرة بوصفه أحد أركان الثلاثة للعملية الإبداعية، فإن البلاغة أغفلت المخاطِب و حالته النفسية الاجتماعية بشكل عام، و اعتنت بحالة المخاطَب اعتناء بالغا، فتحدث العلماء عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال حديثا مفصلا فقال أحدهم مثلا: " ومقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الايجاز يباين الاطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبيّ" (الخطيب، 2009، الصفحات 42-43).

و في هذا السياق تتضح لنا الفروقات التالية بين البلاغة و الأسلوبية (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، صفحة 65):

-إن المبدع في الأسلوبية هو الذي يبدع اللّغة إبداعا يتناسب مع تكوينه النفسي والاجتماعي و الثقافي. فينشئ نصا له خصائص فردية مميزة تؤثر في المتلقي، الذي يقوم بتحليل النص مبديا خصائصه وخصائص مبدعه، بينما تغيب شخصية المبدع في البلاغة العربية القديمة، التي اعتمدت على النماذج الراقية والمصطفاة، و على بلاغة اللغة نفسها.

-تهتم الأسلوبية اهتمام كبيرا بقضية الذوق الخصي للمبدع، إذ أن المبدع يقوم باختياراته، وتأليف نصوصه معتمدا على الذوق الشخصي، لا على مثال مصطفى أو متعال فوق الزمن، ومن ثم فإن لكل مبدع تجربته من جميع جوانبها.

يشتمل التحليل الأسلوبي على كل أجناس الكلام بينما يتجه البحث البلاغي إلى الاختصاص بنوع خاص من الكلام هو الكلام الأدبي، فعلم البلاغة يعالج الإمكانيات التي تنتجها قواعد اللغة في الاستخدام التعبيري، بينما تعالج الأسلوبية الكلام والأداء معا، وهذا يدلل على أن قواعدية البلاغة و معاييرها تتجه إلى معرفة درجة فصاحة القول ومدى ما تمثل في الاستخدام التعبيري قواعدية التعابير اللغوية المستخدمة، فهذه التعابير تكون واردة في سياق كلام (لغة) أو سياق أداء، وهو الكلام المختص بفرد، وبالمقابل نلاحظ أن دائرة الأسلوبية أوسع من حيث المهمة، فهي تتجلى في معرفتها لمختلف أدوات التعبير، من حيث وصفها، وتحديدها وتصنيفها ومعرفة نماذج الملفوظ من جهة أخرى. (جيرو، الأسلوبية، صفحة 89).

فالبلاغة تبتعد عن دراسة أنماط الكلام المتعددة في السياقات اللغوية والاجتماعية المختلفة.... أمّا الأسلوبية المعاصرة فقد اتخذت لنفسها آفاقا واسعة رحبة، تمثلت في استيعابها لأنماط الكلام المختلفة، ومن هنا عنت الأسلوبية بدراسة التنوع اللغوي عامة سواء كان هذا التنوع قائما على أساس إقليمي أم اجتماعي أم طبقي. (أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية و التطبيق، صفحة 66).

ارتبطت علوم البلاغة من حيث تصنيفها وأقسامها وأنواعها بالمنطق (علم الحد والاستدلال)، بينما تشكلت "الأسلوبية باعتبارها منهجا ناشئا من تأثير علم اللسانيات عليها و أحد فروعه، وهي : تنهض على عدة ثنائيات مثل: القاعدة و الانحراف – القاعدة و الاستعمال – التعبير و التوصيل – اللغة و الاستعمال – التفرد و التميز – المبدع والمتلقي – التعبير والتأثير – اللغة والكلام – الاقناع والامتاع - الفصاحة و البلاغة – اللفظ و المعنى (الدال و المدلول)الاستبدال والتركيب – اللغة والفكر. (عبد الجليل، 1422هـ/2002م، صفحة 62).

كما يوجد فرق بين البلاغة والأسلوبية في القدم و الحداثة فعلم البلاغة علم لغوي قديم، وعلم الأسلوب علم لغوي حديث.

5. خاتمة:

وهكذا بعد إلقاء الضوء على البلاغة العربية القديمة والأسلوبية الحديثة، واستقصائنا لبعض نقاط التشابه والاختلاف، تجدر الإشارة إلى أن هناك من الباحثين من يرى أن وجه المقارنة بين هذين العلمين غير مستوفية، بل ليست متكاملة الأدوات ذلك أنّنا نقارن فكرا حديثا أفاد من التراكم المعرفي، ومن منجزات العلوم و الآداب بفكر قديم... ولا يقتصر ذلك على الفاصلة الزمنية فقط بل هناك فاصلة مهمة أخرى هي اختلاف البيئتين العربية والغربية، فالأسلوبية نتاج البيئة الغربية وتفاعلاتها وصراعاتها الإيديولوجية والفنية، والبلاغة العربية نتاج البيئة العربية بمداخلاتها التاريخية .

6. قائمة المصادر و المراجع:

-الصناعتين، أبو هلال العسكري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971، ص13.

-الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان و التبيين، مكتبة الخانجي، 1998، ص 115..

-البلاغة، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1405هـ، ص81.

-التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد القزويني، دار الفكر العربي، ص43.

-التقديم و التأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، ص121

فنون النص وعلومه، فرانسوا راستسي ، ترجمة إدريس الخطاب، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2010، ص205.

-مناهج النقد الأدبي، يوسف و غليسي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2/1430هـ/2009م، ص83.

-رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء علم الأسلوبية الحديث، سامي محمد عبابنة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص 12-13.

- دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، ص16.

- الموسوعة الأدبية، دادوة فيصل الأحمر نبيل، دار المعرفة الجزائر، 2008، ص23.

- الأسلوبية و خصائص اللغة الشعرية، مسعود بودوخة, عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص8.

- الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة،ط1، 1427هـ/2007م، ص35.

-مناهج النقد الأدبي، يوسف و غليسي، ص76.

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص74.

- الأسلوبية و تحليل الخطاب، نور الدين السد, دا هومة الجزائر، 1977، ص93.

البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة وتعليق : محمد العمري، منشورات مجلة

دراسات سيمائية أدبية لسانية الدار البيضاء ،ط1،1989. ص13.

في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، سعد عبد العزيز مصلوح، آفاق جديدة، جامعة الكويت،ط1 ، 2003، ص22

-في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، سعد عبد العزيز مصلوح، 22.

- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، مكتبة الجيزة مصر،ط1992/2م، ص.

- المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان و التبيين للجاحظ، عبد السلام المسدي, حوليات الجامعة التونسية، 1976، ص23-156.

-المصطلح النقدي في الدراسة العربية المعاصرة بين الأصالة والتجديد، الأسلوبية نموذجا، خليل عودة ، مجلة جامعة الخليل للبحوث،ع2، 2003، ص169.

-النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، عدنان بن دربل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 ، ص48.

-النص و الأسلوبية بين النظرية و التطبيق، عدنان بن دربل، ص87.

-الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، دار الحاسوب حلب، ط2، 1994، ص1-27

- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، ص46.

- الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، موسى ربابعة، دار الكندري الأردن،ط1، 2000، ص9.

- البلاغة و الأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1994، ص265-266

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص84-85.

-- البلاغة و الأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص262-263.

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص81.

- الأسلوبية مفاهيمها و تجلياتها، موسى ربابعة، ص9.

البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، ص23.

- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص ،دار نوبال، القاهرة،ط1، 1996، ص243-244.

الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1428ه/2008م، ص29-30.

- البلاغة و الأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص258-260.

- في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية، سعد عبد العزيز مصلوح،67-71.

- مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، ص44-45.

- الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، ص31.

- الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية، فتح الله أحمد سليمان، ص31.

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص73.

-الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، 2009، ص42-43.

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص65.

-الأسلوبية، بيير جيرو، ص89.

-الأسلوبية الرؤية و التطبيق، يوسف أبو العدوس، ص66.

-الاسلوبية و الثلاثية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، عمان،1422 ه /2002، ص62.